أعمال موجهة مادة: بيبليوغرافيا النقد الأدبي القديم

الحصة الخامسة: المثل السائر لابن الأثير

ترجمة لصاحب الكتاب

هو أبو الفتح، نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب ضياء الدين[1]. كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل وبها اشتغل. وحصل العولم وحفظ كتاب الله الكريم، وكثيرا من الأحاديث النبوية وطرفا صالحا من النحو واللغة وعلم البيان، وشيئا كثيرا من الأشعار.

ولما كملت لضياء الدين الأدوات قصد جناب الناصر صلاح الدين تغمده الله برحمته في في شهر ربيع الأول سنة، 587هـ ن فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين...ثم طلبه والده الملك الأفضل نور الدين من والده، فخيره صلاح الدين بين الإقامة في خدمته والانتقال إلى ولده، فاختار ولده فاستوزره ولده الملك الأفضل الملك نور الدين على المقدم ذكره رحمه الله تعالى، وحسنت حاله عنده.[2]

ولما توفي السلطان صلاح الدين واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق، استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة وردت أمور الناس إليه، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه.

ثم انتقل إلى خدمة الملك الظاهر غازي (صاحب حلب) (سنة 607 هـ) ولم تطل إقامته فيها، وتحول إلى الموصل، فكتب الإنشاء لصاحبها محمود بن عز الدين مسعود، فبعثه رسولا في أواخر أيامه إلى الخليفة، فمات ببغداد. كان قوي الحافظة، من محفوظاته شعر أبي تمام والمتنبي والبحتري[3].

أقوال العلماء فيه

قال فيه(ابن الشعار): كان كاتب الإنشاء لدولة صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه بن مسعود ابن مودود ، وكان حاسبا ، كاتبا ، ذكيا ، إلى أن قال : ومن تصانيفه كتاب "الفروق في الأبنية" وكتاب "الأذواء والذوات" وكتاب "المختار في مناقب الأخيار" و"شرح غريب الطوال.

وقال(ياقوت الحموي): كان عالماً فاضلاً وسيداً قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث.

---

[1]– ابن الأثير الجزري، صياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، مصر، ص27،

[2]– المصدر نفسه، ص ن

[3]– ينظر: الأعلام للزركلي..

وقال(ابن خلكان): كان فقيهاً محدثاً أديباً نحوياً عالماً بصنعة الحساب والإنشاء... كان ورعاً، عاقلاً مهيباً، ذا برٍ وإحسان

وقال (ابن كثير): سمع الحديث الكثير وقرأ القرآن، وأتقن علومه، وحررها وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة.

وقال(السيوطي): من مشاهير العلماء، وأكبر النبلاء، وأوحد الفضلاء.

آثاره

توفي سنة 637هـ، ومن تآليفه: (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) و(كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، و (المفتاح المنشا لحديقة الإنشا)، و(المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء)، البرهان في علم البيان، و(ديوان رسائل) طبع في بيروت باسم (رسائل ابن الأثير)، وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي وهو في مجلد واحد كبير.

تعريف بالكتاب

وصف الكتاب: الكتاب: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637 هـ) تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة عدد الأجزاء: 4.

وفي "وَفَياتِ الأعيان"، يقول ابن خَلِّكان (ت 681هـ): "... ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله، كتابه الذي سماه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، وهو في مجلدين، جمع فأوعى، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه؛ فوصل إلى بغداد مئة نسخة، وله كتاب (الوشي المرقوم في حل المنظوم)، وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة، وله كتاب (المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء)، وهو أيضاً نهاية في بابه"، وقد أخذ ابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ) عن ابن خلكان قوله واختصره، ومعلومٌ أن ابن العماد عيال في كتابه على ابن خلكان[1].

مضمونه

كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر يقع في أربع مجلدات، وقد تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن البلاغة في علم البيان والمعاني والبديع، وأفرد قسمًا من الكتاب في سر الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية، وتحدث عن مواضع الإيجاز، وتطرق الكتاب إلى الإطناب والاشتقاق والتضمين والعديد من الفصول الأخرى، وقد تحدث ابن الأثير عن السرقات الأدبية وهو موضوع نقدي مازال فيه اختلاف إلى اليوم، وفيما يأتي أهم الفصول في كل مجلد.

[1]– ابن خلكان، وفيات الأعيان (ترجمة ابن الأثير).

الجزء الأول: ركز ابن الأثير في هذا المجلد حديثه عن علوم البلاغة العربية، ولكن لم يخضع الكتاب للتصنيف المعروف اليوم، فكان يوجد خلط بين العلوم، فالكتاب من أمهات الكتب، ولم تكن التسميات كما هي اليوم، وأهم ما تحدثت عنه فصول الكتاب ما يأتي: علم البيان وأدواته. علم العربية من النحو والتصريف. أيام العرب وأمثالهم. المنظور والمنثور. علم القوافي والعروض. الحكم على المعاني. جوامع الكلم. الحقيقة والمجاز. الفصاحة والبلاغة. الطريق إلى علم الكتابة. علم البديع: ولم يذكر هذا الفصل بهذا الاسم صراحة، بل تحدث المؤلف عن ما يتضمنه علم البديع. سر الصناعة المعنوية. الاستعارة والتشبيه. التقديم والتأخير. قوة اللفظ لقوة المعاني. الإيجاز وأنواعه. الإطناب. المثل السائر. الصناعة المعنوية. التكرار. الكناية. الاقتضاب. الإسهاب. الاشتقاق. السرقات الشعرية.

الجزء الثاني: في المجلد ركز ابن الأثير على سر الصناعة الكتابية، وفصل في الصناعة اللفظية والمعنوية، وتحدث عن الأدوات لهذه الصناعة، وفيما يأتي أهم الفصول في هذا المجلد: سر الصناعة المعنوية. الاستعارة والتشبيه. التقديم والتأخير. قوة اللفظ لقوة المعاني. الإيجاز وأنواعه. الإطناب.

الجزء الثالث: تابع ابن الأثير في هذا المجلد الحديث عن سر الصناعة الكتابية، وبدأ بمعالجة قضية السرقات الشعرية، وفيما يأتي أهم الموضوعات في هذا المجلد: الصناعة المعنوية. التكرار. الكناية. الاقتضاب. الإسهاب. الاشتقاق. السرقات الشعرية.

الجزء الرابع: أفرد ابن الأثير هذا المجلد بعرضه لقضية السرقات الأدبية والشعرية، وهي قضية نقدية فيها الكثير من الأقوال إلى اليوم، فكان كتاب المثل السائر موسوعة تحوي العديد من العلوم، فعُدَّ هذا الكتاب من أهم الكتب في المكتبة العربية..

منهج صاحبه

أما عن منهج الكتاب، فهو وصفي، إذ يقول:"أتيت في كتابي هذا بظاهر هذا العلم دون خافيه، وحمت حول حماه ولم أقع فيه إذ الغرض إنما هو الحصول على تعليم الكلم التي بها تنتظم العقو وترصع، وتخلب العقول فتخدع، وذلك شيء تحيل عله الخواطر، لا تنطق به الدفاتر"[1].

وهذا ما نجده في كتاب(منهج البحث في المثل السائر) لجواد الطاهر"غير ان ابن الأثير أحسن الاستفادة من المؤلفات التي سبقت مؤلفه ولم يجتر ما قيل فيها، ولم يجمد جود القيرواني

[1]– ضياء الدين ابن الأثير، ج1، ص.

في النقل والعرض، فجمع آراء حصيفة وأضاف من خبرته الشخصية في دنيا الكتابة، ولم يتوقف عن التحسين والتجويد مدة اشتغاله بالتدريس والتأليف"[1]

فيتكون من فصول ومباحث اتصفت بالموسوعية، فقد عرض الكاتب لآراء العلماء في عصره ثم رجح أحد الآراء بطريقة ذكية مدعمًا إياه بالحجة والأدلة، ولم يكتف بترجيح أحد الآراء فقط، بل جاء بالاستشهاد من روائع النصوص التي سبقت عصره، وأورد بعد ذلك تطبيقًا يدعم الفكرة، حتى إن ابن الأثير اتصف بالموسوعية والشمولية، فكان عالمًا ليس فقط بالأدب وما يتصل به من علوم النقد والكتابة والبلاغة والنحو بل تضمن الكتاب لكثير من العلوم التي أتقنها ابن الأثير منها علوم القرآن الكريم وعلم التاريخ، والفلسفة والفلك وغيرها.

وقد تميز الكتاب بالاتشهاد بالقرآن والحديث والشعر القديم، ويبين ابن الأثير طريقته ومنهجه في التعامل مع الشعر بقوله:": "لم أكن ممّن أخذ بالتقليد والتسليم في اتّباع من قصر نظره على الشعر القديم؛ إذ المراد من الشعر إنّما هو إيداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف"[2]

أهميه الكتاب

الكتاب يجمع الكثير من أصول البلاغة العربية والنقد الأدبي

هذا الكتاب في مجلدين، جمع فأوعى، ولم يترك شيئا يتعلق بن الكتابة إلى ذكره، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه، فوصل إلى بغداد منه نسخة،

أما علماء البلاغة العربية فيعُدون كتاب المثل السائر من الكتب السامقة في البلاغة، فالكتاب يحوي مادة غزيرة مدعمة بالأمثلة الوافية، فجهد ابن الأثير واضح في الكتاب.

تكمن قيمة كتاب المثل السائر باعتباره مرجعًا في أصول الصناعة الكتابية بشقيها الشعري والنثري.

---

[1]– منهج البحث في المثل السائر (مقدمة الكتاب)، على جواد الطاهر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1989ن ص

[2]– ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص 225.